المحاضرة الثانية: نشأة الرأي العام

إن الرأي العام كظاهرة وليس كمصطلح قديما قدم البشرية ويظهر ذلك من خلال الآثار السومرية والبابلية والفرعونية والأشورية التي تعتبر كدليل على وجود الرأي العام في تلك الفترات، من خلال الاهتمام بعقد مجالس الشعب والمؤتمرات.

ويرجع تاريخ ظهور الرأي العام كظاهرة موجودة في المجتمعات القديمة إلى المدينة الإغريقية القديمة في أثينا واسبرطة وغيرها، فقد كانت تعبر عن الرأي العام من خلال المناقشات التي كانت تهتم بالقضايا العامة وتعير الاهتمام إلى حق المواطنة فقد كانت كلمة الأغلبية هي العليا، وإن لم يعبر عن كلمة الرأي العام بمقصودها الحالي إلا أن أرسطو وأفلاطون كانوا كثيرا ما يتحدثون عن الرأي العام الجماهيري. كما أن المجتمعات اليونانية لم تكن تخلو من أماكن مخصصة للقاء الشعب وعرض القضايا العامة، حيث كانوا يشاركون بآرائهم ويتناقشون حولها لترجح الكفة للرأي السائد.

وبالمدن اليونانية تجسد مفهوم الرأي العام من خلال تلك الاجتماعات التي كانت تعقد لمناقشة كل المجالات وتتخذ القرارات في اجتماع جمعية المواطنين بأغلبية أصوات المواطنين وكانت لها السلطة الكاملة والمطلقة فكما قال أرسطو **"كانت تفعل ما تشاء ولا يحكمها إلا صوت الأغلبية".**

كما كان للفلاسفة والمفكرين اليونانيين التفكير في مفهوم الرأي العام حيث أدركوا معناه ومدلوله وآرائهم لازالت لحد يومنا هذا مجالا لاهتمام الباحثين. فأرسطو مثلا قسم المستمعين والذين كانوا يمثلون الرأي العام في تلك الفترة، حسب السن إلى شباب ورجال وكبار السن، ثم يقسمهم حسب ما يسميه ظروف الحظ وهي عنده الأصل، الثروة والقوة ولكل مجموعة مميزاتها. ولم يكن اليونانيون هم فقط من أولو الاهتمام للرأي العام كمجال للاهتمام بشؤون المجتمع، فقد عرفته أيضا الحضارات على مر العصور فالرومان أيضا تحدثوا عن الآراء الشائعة ووصلوا إلى مفهوم صوت الجمهور، أو صوت الشعب.

ورغم أنه في هذه العصور لم يكن مصطلح الرأي العام واضحا وظاهرا كما في يومنا هذا إلا أن الممارسات التي سادت في مختلف هذه العصور كانت توحي بأهمية الرأي العام، واحترام رأي الأغلبية ورأي الشعب كان له في مختلف هذه العصور دور في الحكم.

أما في العصور الوسطى، لم تكن له تلك الأهمية بالنظر إلى السيطرة المطلقة للحكام والمعتقدات الدينية، وأشار إلى أن هناك مفهوم يشبه الرأي العام ظهر عند المسيحيين، يعبر عنه بعبارة الاتفاق العام والتي كان يستخدمها أنصار البابا ضد خصومهم للتعبير عن التقاليد السائدة والاتجاهات العامة للرأي العام في المناطق المتنازع عليها. أي أن هذا المصطلح كان موجه فقط لخدمة مصالح الكنيسة للتمكن من أعدائها.

ولقد كان الخلفاء المسلمون يولون عناية كبيرة لمعرفة أحوال الرعية واتجاهات الرأي العام فيها ولا شك أن العالم الإسلامي، قد عرف الشورى التي تنطوي على الاعتراف بالرأي العام وشاورهم في الأمر وأمرهم شورى بينهم ولقد كان عمر بن الخطاب يتولى بنفسه دراسة الرأي العام عن طريق الاتصال بعامة الشعب والاستماع إلى آمالهم وآلامهم، كما أن عبارة معاوية المشهورة والتي كان يقول فيها أن بينه وبين الناس شعرة لا تنقطع إذا أرخوها أشدها وإذا شدوها أرخيها تدل على الاهتمام برأي الجمهور.

ولقد ظهر تعبير الرأي العام بالمفهوم الحديث مع الثورة الفرنسية في القرن 18 على لسان وزير المالية لويس السادس عشر جاك نيكير، وذهب آخرون أن تعبير الرأي العام ظهر في انجلترا في مطلع القرن 12.

وعلى العموم فقد عمت أوروبا من مطلع القرن السادس عشر إلى القرن 18 حركة فكرية شملت كل الميادين وتطرق الفلاسفة والمفكرين إلى قضايا تدور حول الرأي العام السلطة والمعرفة وشرعية السلطة وأصول الحكم والعدالة وحقوق الإنسان ومن أبرز هؤلاء المفكرين والفلاسفة، جون جاك روسو، وجون ستيوارت ميل؛ حيث أكدوا على ضرورة احترام الحكومة للإرادة العامة التي تنطوي بشكل من الأشكال على ظاهرة الرأي العام، كما أكد ستيوارت ميل على أهمية حرية الرأي وأنه إذا كان رأي واحد فقط مخالف لآراء العالم كله فلا يحق للعالم إسكاته.

وفي القرن 19 ومع حدوث الثورة الصناعية انتقل الاهتمام بالفكر السياسي من فرنسا إلى إنجلترا ؛ حيث سادت الفلسفة النفعية لجيرمي بينتام والقائمة على أكبر سعادة لأكبر عدد من الشعب وهذه السعادة، يحصل عليها الفرد بمفرده دون حاجة لتوجيه النخبة له لما يليق وما لا يليق أي أنه أضاف للجانب العقلاني للرأي اية القرن التاسع عشر وضع الرأي العام بشكل كبير الجانب الفردي وهو الوصول إلى السعادة. وفي تحت التحليل في الدراسات التجريبية والتي ميزت العلوم الاجتماعية النامية، فقد كان الكتاب متأثرين بالقوة الجديدة للرأي العام.

وفي القرن العشرين ومع تطور وسائل الاتصال الجماهيري زاد الاهتمام بالرأي العام وظهرت قوة تأثيره على الحكومات وخاصة بعد الحربين العالميتين وأصبح بذلك علما بذاته، يدرس في المعاهد والجامعات الأمريكية والأوروبية، كما تم إنشاء معهد لقياس الرأي العام سنة 1937 بالولايات المتحدة الأمريكية وهو معهد غالوب والذي كان أول معهد لسبر الآراء ولحقته في ذلك عدة معاهد في أوروبا.